Sociology

مجلة العلوم الإجتماعية

Journal of Social Science

دورية دولية علمية محكمة تصدر عن المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الإستراتجية والسياسية والإقتصادية ألمانيا - برلين

العدد 09 جوان 2019

V.R33616
ISSN 2568-6739

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتجية والسياسية والإقتصادية
برلين-ألمانيا
ISSN 2568-6739 V.R33616

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتجية والسياسية والاقتصادية

مجلة العلوم الاجتماعية

دورية دولية علمية محكمة

الإيداع القانوني V.R33616

ISSN 2568-6739

جوان 2019

الــعــدد التاسع (09)

قراءة في العلاقات الأسريّة داخل الأسرة الجزائرية في ظل التدّين والهيمنة الذّكوريّة

د.علي عليوة، جامعة محمد الشريف مساعدية سوق أهراس- الجزائر

A reading of family relations in the Algerian family in light of religiosity and male domination

Dr. Ali Allioua, Faculty of Humanities and Social Sciences, Mohammed Charif Messadia University, Souk Ahars Algeria

ملخّص: يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على شبكة العلاقات الأسرية في المجتمع الجزائري، تلك العلاقات التي لطالما شكّلت حقلا ثريا للدراسات السوسيولوجية، فكما يبدو أن شكل العلاقات طبيعي وصحي وسليم، لكن الكثير من الظواهر الخفية التي ترتبط بالأسرة الجزائرية والتي عكّرت صفوة هذه العلاقات خاصة فيما يتعلّق بالهيمنة الذكورية والعنف الرمزي والتدين، فأصبحت الأسرة الجزائرية تعيش بهذه المفاهيم التي غلّفت الكثير من النزاعات الضمنية داخل الحقل الأسري.

ركّزنا على التديّن في الأسرة وعلاقته بالعشرية السوداء، ثم مختلف العلاقات داخل النسق الأسري الجزائري، بين الرجل والمرأة سواء زوجة أو بنت أو أخت، وعلاقة المرأة بالمرأة سواءا بنت أو أم أو حماة.

الكلمات المفتاحية: الأسرة الجزائرية، العلاقات، الهيمنة الذكورية، التدين، العنف الرمزي، المرأة.

Abstract: This article aims to shed light on the network of family relations in Algerian society, which has long been a rich field of sociological studies, as it seems that the form of relations is normal, healthy and healthy, but many hidden phenomena that are related to the Algerian family With regard to male domination and symbolic violence and religiosity, the Algerian family has become living with these concepts, which have covered many of the implicit conflicts within the family field.

We focused on religiosity in the family and its relation to black blackness, then the various relations within the Algerian family, between men and women, whether wife, daughter or sister, and the relation of women to women whether they are daughters, mothers or protectors.

Keywords: Algerian family, relationships, male domination, religiosity, symbolic violence, women.

تمهيد:

لقد مرّت الأسرة الجزائرية بمراحل ومحطّات تاريخيّة جعلت من شبكة العلاقات داخلها متشابكة وغير واضحة المعالم، تُوزّع فيها الأدوار في عقد اجتماعي ضمني يتمّ الاتفاق عليه وتجديده من مرحلة إلى أخرى، حسب ما تمليه المتغيّرات المحيطة بها وما تفرضه العولمة من نسق التفاعلات التي ترتطم بشخصية الفرد الجزائري سواءا رجل أو امرأة في محاولة منه للتكيّف مع صيرورة حياة الأسرة وعلاقتها بالأنساق الأخرى، والاستفادة من الوضع العام داخلها من هوامش حرية مادية ومعنوية.

وتختلف هذه الهوامش وفقا لمتغير الجنس، فالمجتمع يمتلك رأس مال ثقافي متوارث للاستثمار في جسد الفاعلين داخل نسق الأسرة وهذا ما أكده بيار بورديو، ومارسال موس أيضا في قوله "ما يميّز تقنيات الجسد هو أنّها لا تعتمد شيئا آخر غير الجسد لكنّ الحركات التي يقوم بها الجسد، تعتبر أفعالا تقليدية أي من صميم التجربة المكتسبة اجتماعيا. إنّ مجموع الهابتوسات الجسدية تلقن وتعلم وهي في تطوّر مستمر. ويمكن دراسة تقنيات الجسد حسب "السنّ والجنس"، فتوزيع الأدوار داخل الأسرة من منطق تقسيم العمل الاجتماعي في هذا النسق تُوزع الأدوار حسب متغيري الجنس والسن، وهو بالأساس عنف رمزي تمارسه الأسرة ومحيطها من مجتمع ووسائل إعلام وعادات وتقاليد ودين ... كلّها تساهم في تحديد مهام الأجساد داخل الأسرة وخارجها.

ومن خلال دراسة بيار بورديو للأسرة الجزائرية خاصة القبائلية منها وجد أنّ الجسد ليس معطى بيولوجي فيزيائي فقط، بل هو بناء ثقافي واجتماعي أفرزه التاريخ إلى ما هو عليه الآن يعكس بصدق الهيمنة الذكورية على الأجساد والتي رسمت هوامش حرية الأجساد خاصة المرأة وقيدته وبالتالي فإنّ الاستثمار في البناء الاجتماعي للأجساد ليس إلا ميثولوجيا سياسية في حالة حضور دائمة.

إنّ هذه الميثولوجيا السياسية فرضت سطوتها وحضورها على نسق العلاقات داخل الأسرة الجزائرية، وكانت الهيمنة الذكورية حاضرة وبقوة في كل المناسبات من خلال توزيع للأدوار التي وُزّعت عن طريق العنف الرمزي الذي خضع له الأفراد دون وعي واستسلموا له لأنه ليس عنف فيزيائي أو مرئي، بل يتشرّبه الفرد من خلال التنشئة الاجتماعيّة ويعيد إنتاجه داخل نسقه الخاص بطريقة لاواعية أيضا.

لذلك... أصبح من اللازم الاعتماد على المقاربات البورداوية في تحليل وتفكيك شبكة العلاقات الأسرية الجزائرية، لاسيما مدخل الهيمنة الذّكورية وكل المفاهيم المحيطة به من عنف رمزي واقتصادي وإعادة الإنتاج ورأس المال الثقافي والهابيتوس وغيرها من مفاهيم المدرسة الصراعية لبيار بورديو والتي نراها مقاربة جديرة بالاحترام خاصة وأنّها درست الواقع الجزائري لتستخرج كماً هائلا من النتائج المذهلة في حقل السوسيولوجيا الجزائرية، وتكون دراسة بورديو ومقارباته هي الأقرب لواقعنا وبُنانا الاجتماعية وتحليلا لشبكة العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة الجزائرية، لذلك اعتمدنا على منطلقات هذه الدراسة في قراءة لواقع العلاقات الأسريّة داخل المجتمع الجزائري بصفة عامة وداخل الأسرة بصفة خلال من خلال مفهوم الهيمنة الذّكورية الذي هيمن فعلا على الحياة الاجتماعية.

1-التغير الاجتماعي والأسرة الجزائرية: إنّ التغير الاجتماعي بكل تجلياته وإفرازاته فرض على الأسرة الجزائرية نسقا من العلاقات أفقدها تلك الوظائف التقليدية والقيم، هذه التغيرات مسّت حجم الأسرة ودورها وبالتالي تقسيم العمل فيها وهو ما أفرز نظاما حديثا للأسرة يحاول مواكبة الحداثة والحنين للتقاليد والعادات والقيم الاجتماعية وبدأت الروابط الأسريّة في أخذ أشكال جديدة مغايرة لما كانت عليه في الأسرة الممتدة.

إن انتقال الأسرة في المجتمع الجزائري من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية الصغيرة أدى حسب بيار بورديو إلى صراع قيمي بين الأبناء والآباء، وبين المرأة والرجل، وهذا ما أدى إلى ظهور الفردانية وانحلال الروابط الأسرية أو ضعفها بعد انفصال الأسرة النواة عن الأسرة الممتدة، "وساهمت عدة عوامل كالتمدن والتصنيع والتحضر وتغيّر أحوال المرأة وغيرها في تفكك العلاقات القرابية وضعفها بالإضافة إلى تعقد الحياة وزيادة مشكلاتها الاجتماعية"(علي عليوة، 2017، ص27)، فخروج المرأة من الدور التقليدي في تقسم العمل في الأسر الممتدة والذي فرضته مجموعة من المتغيرات أبرزها تعليمها وتحول المجتمع من مجتمع رعوي إلى مجتمع مصنّع، ووجود فرص عمل حقيقيّة للمرأة، إضافة إلى ظهور حركات التحرر النسويّة وحقوق المرأة والمجتمع المدني والانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي كلها متغيرات ساهمت بالإسراع لإعطاء المرأة الدور الهام الذي يليق بها بعيدا طبخ الطعام وغسل الأواني والأرضيات وتربية الأطفال، إلى دور حقيقي وفعّال، دور تشاركي مع الرجل كشريك اجتماعي وليس جزء من حياة الرجل الذي كان يُمارس في الأسرة الممتدة.

إنّ انتقال الأسرة من حياة القرية أو الريف إلى حياة المدينة بشكلها البسيط والمعاصر أدخل قيما جديدة، قيم تتصادم في الكثير من الأحيان مع القيم السابقة وتتلاقى في القلة القليلة، هذا الانتقال خاصة إن كان سريعا يخلق تصادما ثقافيا يفرز مظاهر غريبة في هذه المجتمعات وداخل الأسر، فبعدما كان تقسيم العمل ستاتيكي يتميّز بالرتابة والتكرار والروتين في المجتمع القروي والريفي والبدوي، أصبح ديناميكي متغيّر ومتجدّد في المدينة، فتنوّعت تخصّصاته وتشعبت أعماله وأدوار الفاعلين فيه.

إنّ خروج المرأة للعمل كان عاملا قويا في زعزعة الأسرة الممتدة في مطالبة هذه الأخيرة بحقها في السكن لوحدها وبهذا بدأت الأسر الممتدة تنقسم إلى أسر نواة تتكوّن من الزوج والزوجة والأبناء لا غير، وأعطت نسقا من التفاعلات الحديثة غير تلك التقليدية، فأصبحت الأسرة تميل كثيرا في تعاملاتها مع الجيران وأصدقاء الأسرة أكثر من صلة القرابة والدم، "ويتجلى ذلك من خلال تبادل الزيارات في المناسبات المختلفة كالأعراس والأعياد والختان...، غير أنّها لم تعد إجبارية، بل أضحت تشبه إلى حِد ما علاقات الصداقة، بحيث أنّا أصبحت تقوم على الاختيار الواعي، والميل الوجداني، لم تعد مجرد انعكاس للرابط الّدموي وعلاقات المصاهرة"(شكري علياء، 2010، ص16).

2-الدّين بين الرّيف والمدينة: إن التغيّر الاجتماعي السريع الحاصل للأسرة الجزائرية أربك البُنى الاجتماعيّة والأدوار داخل المجتمع وداخل الأسرة، فالتغيّر لم يكن سلسا ولم يكن نتاج تطوّر وتحصيل حاصل للمتغيرات المحيطة بالمجتمعات والأسر التي تتغيّر تدريجيا وتفاعل مع

القيم الأخرى التي تفرضها العولمة ونسق التفاعلات الاجتماعية اليومية، بل في المجتمع الجزائري كانت التغيرات الاجتماعية قصرية وسريعة وغير مدروسة خاصة وأنها جاءت كإفرازات للعشرية السوداء، لعشرية الإرهاب الذي ضرب الجزائر وكانت الضريبة الأخطر هي الهروب القصري لسكان الأرياف والجبال والبدو من خيمهم ومنازلهم وأكواخهم إلى المدينة، هذا النزوح الجماعي الذي أوجد مواجهة قبل الموعد بين قيم المدينة وقيم الريف.

إن الحياة في الريف أو القرية بسيطة بساطة الأفراد والروابط الاجتماعية بينهم وطبيعة شبكة العلاقات الاجتماعية بينهم، فالرباط القرابي "العرش" يلعب دورا بارزا في تحديد طبيعة الجماعات الاجتماعية وتواجد الأفراد داخل القرية أو الريف، فساهم ذلك في "انهيار القرابة الاجتماعية، وارتفاع قيمة القرابة الّدموية المباشرة، وأصبحت الأسرة الموسعة بؤرة تتجمع فيها القيم الاجتماعية التقليدية، وصارت من جراء ذلك منقذ المكونات الأخلاقية والّدينية في المجتمع"(عّدي الهواري، 1983، ص126) فالكل يعرف الكل، والفرد لا يمثل نفسه بل يمثل والده وإخوته وعمومه فدائما ما نجد فلان بن فلان، ويمثل قبيلة كذا، لذلك لطالما كان الفرد خاضعا لقبيلته وأسرته الكبيرة الممتدة وأي خطأ منه سيكلف القبيلة كلها دفع ثمن ذلك، فكان الانتماء القبلي موجّه أخلاقي للأفراد وصمام أمان للفاعلين الآخرين، فالتجارة وبيع المواشي والمحاصيل الزراعية يكون فيها الرابط التجاري الأوّل بامتياز هو القبيلة والرابطة الوالدية ونسق تفاعل القبيلة مع القبائل الأخرى تاريخيا وتجاريا وفي حدود الأراضي الزراعية "الرِّسْم".

إنّ المُوجّه والضامن الحقيقي الأوّل للتبادل التجاري بل وكل التعاملات مع الأفراد هو القبيلة، بمجرد أن يرى أحدهم المشتري أو البائع فإنه يبادره بالكلام عن اسمه وعن قبيلته وعن العلاقة الموجودة بينهما ليكون ذلك هو "ضمان" البيع أو الشراء، فتجد استخدام المفاهيم التي ترتبط بالقبيلة وتاريخها المشرف وبطولاتها والأجداد تغزو الحديث في عملية البيع والشراء، فبمجرّد أن يعرف أحدهم أنّ فلان من قبيلة كذا وابن فلان فهو لا يهتم للتفاصيل الأخرى إلا التفاوض لأجل السعر، فالبائع والشاري يعلمان يقيناً أنّ العملية يجب أن تكون بكامل الأوصاف والثقة والضمان وإلا ضاع اسم القبيلة وضاع اسم الجد والولد وغيرهم... وبالتّالي يبقى الدّين جانبا بعيدا عن التجارة في حيزه الرّوحي المتعفّف عن المادة وتبعاته، لذلك تجد الدّين في الأرياف والقرى ديناً بسيطا يلامس روحانية الأفراد ويُلبي شغفهم الوُجودي ويزرع فيهم جو الألفة والمحبة والتماسك الاجتماعي، حيث تمارس كلّ الطقوس الدينية في جو روحاني احتفالي سواءا في الصلوات اليومية أو في الاحتفالات الدينية بالمولد والأعياد وشهر رمضان وغيرها، فهي تبقى مظاهر عبادية روحانية بعيدة كل البعد عن التطرّف واستعرض العضلات الإيمانيّة.

أما في المدينة "المستحدثة" أي تلك التجمعات السكنية التي رحلت قصرا من الأرياف والجبال وشكّلت مدّناً بزخم ثقافي متنوع وتراكم قيمي مختلف، جعلت الأفراد يبحثون عن الضّامن للعلاقات التجارية في البيع والشراء وكل التعاملات، أو قل حتى بناء شبكة العلاقات الاجتماعية التي يجب أن تُبنى على أسس "عقد اجتماعي" بعيدا عن المدنية ودولة القانون التي لا يفقهونها أصلا ولا يؤمنون بها، لأنها ليست مسالة إيمان بقيم القانون أو المدينة، بل هي رحلة تعايش حضارية بين الفرد والقانون، بين الأفراد والبحث عن عقد اجتماعي حقيقي يفك شفرات التفاعل

الاجتماعي وينسج شبكة علاقات اجتماعية تُبنى على أساس القانون وحرية الأفراد والمعتقدات، فالمدينة ليست بنايات وأسواق ومدارس ومستشفيات وغيرها من مؤسسات الدولة، بل هي رحلة حضارية تأخذ الأفراد من ثقافة إلى ثقافة أخرى، وربما يعيش الفرد حياته كاملة دون أن يتشبّع بقيم المدينة، فيبدأ أولاده في رحلة التعايش مع قيم المدينة التي ربما يخضعون لها يوما ما.

في هذا النوع من المدن يبدأ الأفراد بالبحث عن عقد اجتماعي يتبنّاه أغلبهم ويخضعون له، ويضمن صدق العلاقات الاجتماعية وصدق عمليات البيع والشراء، وهو دون منازع "الدّين"، فتجد المدن "الأنومية"* التي تجمع ملايين الأفراد من كل الأعراق والمناطق والألوان، لا يعرفون بعضهم ولا يثقون في بعضهم البعض وفي علاقاتهم الأخلاقية، "فانتشرت ببعض أحيائها مراكز لبيع الخمور لزبائن مجهولي الهوية، وشقق تملكها نساء غير معروفات في تلك الأحياء تستعملن مساكنهن لممارسة تجارة الجنس، حتى أصبحت ظاهرة جهل السكان لبعضهم البعض L'anonymat منتشرة بحّدة في المدن، وما زاد في تكريسها أكثر توافقها مع طبيعة النّظام الحضري" وبالتالي في ظل هذه المظاهر التي يرفضونها يبقى الدين رأس مال ثقافي اجتماعي وتجاري وأخلاقي وعلائقي، هو الذي يُغذي شبكة العلاقات الاجتماعية ويميّز بين الحدود والحريات، ويوجّه العلاقات الاجتماعية والأسرية، ويظهر كضامن رئيسي في عمليتي البيع والشراء، فتسمع الكلمات الدّينية في كل العمليات التجارية، تبدأ ببسم الله ويا فتّاح يارزّاق وهي كلمات لا يُردّدها التاجر بينه وبين نفسه، بل يُسمع غيره بأنّه متديّن ملتزم بالشريعة الإسلامية، وتبدأ المفاوضات بكلمات دينية مثل "عطو كذا الحلال"، الله يربّح، أقسم بالله، والله ... وتجد العبارات الدّينية في استغلال الوقت بالتسبيح والاستغفار عند الطبيب وأن الشافي إلا الله، وهل صليت اليوم على محمد في مداخل المقاهي والمحلات، والله أكبر في الحافلات في أوراق يكتبها التّجار وغيرها من أساليب الدعاية الدّينية التي تُعتبر العلاقة الأخلاقية الوحيدة التي يعتبرها سكان هذه المدن أنها فعّالة، وقد تجد من يطلق لحيته ويلبس القميص والمسواك في فمه ليوحي لغيره بأنه متميّز في هذه العلاقة ومتمرّس فيها، لذلك تجد أغلب التّجار في هذه المدن "الأنوميّة" وخاصة منهم الذين يدخلون في تفاعلات يومية مع الزبائن بالجملة والتجزئة تجدهم متديّنين متمرّسين في الدين باللحى والقمصان وغيرها من "مظاهر الإيمان".

في الحياة الأسريّة تحافظ الزوجة على زوجها من خلال الدّين، ويحافظ هو عليها من خلال الدّين أيضا وتبقى العلاقات داخل النسق الأسري وخارجه تأخذ طابعاً دينيا، فحتى الأعراس والأفراح رغم وجود الغطاء القانوني للعلاقة الزوجية بين العرسان الجدد عن طريق العقد المدني، لكنّ الزواج يحتاج ضمانات أخرى أكثر قوة من القانون وهي الدّين والعرف، الدّين في حضور شيخ يقوم بعقد القران بين الزوجين بحضور أهل العريس والعروس والضيوف وقد يكفي العقد الدّيني لإقامة كل طقوس الزفاف وبعد ذلك العقد المدني في البلدية ربما بعد أسبوع أو بعد سنة، فهو لا يمتلك الأهمية مثل العقد الدّيني، و"كانت القرارات الأساسيّة كالزّواج والعمل وتربية

* الأنوميا هي اللامعيارية وانقلاب سلم القيم والمعايير رأسا على عقب، فالمجتمع الجزائري أصبح مصابا بالأنوميا بعد العشرية السوداء التي أفرزت مظاهر اجتماعية ناتجة عن نزوح العائلات والأسر التي تقطن الأرياف والجبال قصرا إلى المدينة التي خلقت نوعا من الفوضى الاجتماعية.

الأطفال والطلاق والميراث ... شأنا أسريّا..."(Madher Slimane, 1990, p35.) أي شأنا داخليا لا يهتم كثيرا بالقوانين بل بالدين والعرف في تقسيم الميراث والزواج والطلاق وغيرها من شؤون الحالات الاجتماعية التي يقرّرها زعماء القبائل اجتماعيا، ورجال الدين الذين يكونون في أغلب الأحيان زعماء القبائل.

يبدو من الواضح جدا أنّ مظاهر التديّن التي تغزو المدن الجزائرية أنها فترة حماسيّة انتقالية ستدوم لعقود لكنها ستنتهي حتما بتكريس سنّة القانون، وحين يتعايش النّاس جيدا مع المدينة سيتشرّبون القانون ويكون هو العلاقة الوحيدة والأساسيّة، وستبقى الأديان في مكانها الطبيعي، في القلوب أولا والمعابد ولا تُستغل كرأس مال تجاري.

3- العلاقات والرابط الاجتماعية داخل الأسرة الجزائرية:

أ- علاقة الزوج بالزوجة: علاقة الزوج بالزوجة في الأسرة الجزائرية علاقة تحايل في حيز الحرية ومنطق اللعب، فالزوج يمارس عنفا رمزيا تجاه الزوجة التي تخضع لهذا العنف المتعارف عليه اجتماعيا وأخلاقيا، فالمجتمع اتفق وتمسّك بكل ما يُعطي للرجل الهيمنة داخل الأسرة من خلال التنشئة الاجتماعية ، والتي تفرض على "الجميع الخضوع لسلطة الأب وتنفيذ أوامره، والتزام الصمت في حضوره تعبيرا عن الاحترام، كما أن الخوف منه يخلق له المهابة، ويباعد المسافات الفاصلة بينه وبين أفراد أسرته، وباستعماله العنف اللّفظي والجسدي يحافظ الأب على سلطته، ويعّبر عن فحولته ورجولته (Zerdoumi Nafissa,1970, p118) فتبقى هيبة – على الأقل أمام الناس- مفروضة أمام الكل وخاصة أمام زوجته التي لا تناقش أوامره خاصة إذا كان الموقف أمام أهله أو أصدقاءه، فيمكن أن يطرأ مشكل كبير يعصف بالأسرة إذا حدث عدم قبول بسيط من الزوجة لتعليمات زوجها في أمور تافهة ودقيقة تُعتبر مسألة حياة أو موت بالنسبة للزوج خاصة وإن كان الاعتراض أمام المشاهدين من أفراد الأسرة ليكون أقل حدة، وأكثر حدّة حينما يكون المشهد أمام الغير.

"يقوم المجتمع الجزائري على النّظام القرابي الأبوي، إلاّ أن النظام الأمومي هو قاعدته الخفيّة" (Fanon Franz, 1972, p19) والكلام عن الهيمنة الذكورية في الأسرة الجزائريّة ليس بالسهولة الولوج في تجلياته وإفرازاته دون تفكيك العلاقات الأسرية وتجزئتها وفهمها فهما دقيقا بعيدا عن المفاهيم المغلوطة، فالظاهر أن الهيمنة الذكورية للزوج على زوجته هي تصريح بتمرير كل تعليمات وأراء الزوج دون نقاش، لكن الزوجة الجزائرية تكيّفت مع هذه الهيمنة، فهي "لا تتجرأ في الإدلاء برأيها أمام زوجها إلاّ أثناء الفترة المسائية وعلى انفراد به وفي غرفة النّوم فقط"(Boutefnouchet Mustapha, 1983, p274) حيث تناقشه وتأمره أصلا فيُنفّذ في الغالب ما تأمر به الزوجة.

نعم لقد تعايشت المرأة الجزائرية مع مفهوم الهيمنة الذكورية ولم تصطدم به، بل كيّفته بطريقة ذكيّة جدا لصالحها، فأصبحت هي المهيمنة باستغلال الظروف المحيطة، ونفسية الرجل الجزائري الذي يريد أن يتباهى برجولته أمام غيره من أسرته وأصدقاءه، فتحافظ على الأسرة حسب تعاليمها ورأس مالها الثقافي وتمرر ما تريد ""ما يعني أن المرأة هي التي تتكفل بنقل النّظام الاجتماعي التقليدي عبر الأجيال، وإنعاشه وهي مستترة خلف الجدران، وقد يتجاوز الأمر

مسألة الزّواج، فتمرر قرارات أسرية مهّمة، وتتحكم في توجيه رأي زوجها وفق رغباتها لامتلاكها طرقًا ملتويةً تخّول لها السيطرة على الّرجل، أهمّها الإغراء، والبراعة في إعداد الطعام، فيصبح الطعام الحسن طعًما لا يقاوم، ووسيلةً للتحكم في الّزوج ، وزحزحته من عرشه" (قرامي أمال، 2007، ص715) ، وهكذا يبدو من الظاهر أن النظام ذكوري بكل تمظهراته، لكن الحقيقة أنه أنثوي يُعطي حق الذكورية ويُظهرها ولا يهتم لطقوسها الحيوانية، لكنّه يستغل كل تلك الطاعة في تمرير ما يشاء، "ولا يلتقي بعد ذلك الّرجال إلاّ لتبني ما توصلت إليه النّساء، ولا يتفاوضون إلاّ في حدود ما سطرته النّسوة" (مظهر سليمان، 2010، ص119-120) وهم يفتخرون برجولتهم أمام بعضهم البعض.

إن وصول المرأة بتكيفها مع الهيمنة الذكورية وذكائها في إدارة أمور الأسرة وتطبيق ما تريده حرفيا فهي لا تسعى للوصول إلى سحب البساط من تحت أقدام الزوج، "وهو ما يعني أن المرأة حتى وإن تمكنت من زعزعة السلطة الأبوية، فإنّها تعمل جاهدًة على إخفاء ذلك، وتتظاهر بخضوعها للّرجل، لأن المخيال الجمعي المؤطر للبنية الجزائرية التقليدية يفرض عليها الانقياد والرضوخ لسلطته، فقوة هذا الأخير تكمن أساسا في فرض سلطته عليها وعلى كل أفراد أسرته، كما أن قيمتها ومكانتها تتحدد وفق ولائها لزوجها وأسرته، ودعمها للقيم التقليدية كالتماسك والشرف، والنسب، والإنجاب""(Boutefnouchet Mustapha, 1983, p77).

إن المرأة الجزائرية –في الغالب- تمثل عبئا ثقيلا للرجل، خاصة إن كانت صغيرة وجميلة وجذابة، فيبدأ في ممارسه طقوسه الذكورية في نفش ريشه أمام الجميع وكأنّه الرجل الوحيد، فتجده كثير الغضب أمام زوجته لكي يوحي لها بأنّ الأمر جدّي، فحين يركب معها السيارة فهو لا يبتسم ولا يتحدث معها في الغالب، بل تجده مكشّرا غاضبا يسوق سيارته بعصبية زائدة، هي أيضا لا تكلّمه فتجدها في أغلب الأحيان هادئة في مكانها دون حراك حتى ينتهي المشهد المأساوي أمام الجميع ويتنفّس الجميع الصّعداء حين يكون الزوج والزوجة في البيت بعيدا عن نظرات الجميع، فإن رأيت شابا مع امرأة وهما على الأقدام أو في السيارة ولا يكلمان بعضهما فأعلم أنها زوجته أو أخته، فهي العبء الثقيل الذي يبحث عن التخلّص منه في أقرب وقت من أمام النّاس، وإن رأيته يسوق سيارته بهدوء وبالموسيقى والضحك والكلام فأعلم أنه يغازل عشيقته.

يبدو أن الرجل قد قرر أن يأخذ كل الأدوار ويستعرض عضلاته ليشبع ذاته الذكورية، بالمقابل هو يُدرك جيدا أنه سيدفع ضريبة ذلك عاجلا أم آجلا، فهو لا يريد لزوجته أن تخرج من البيت لوحدها لكنه ملزم بإحضار أبناءه من المدرسة وهو يعمل، فتجده كثيرا التسلل من العمل لإحضار أبناءه ولشراء كذا وكذا، والمرأة تركت له هذا الخيار لعلمها أنّه هو الخاسر الوحيد، ولطالما لاحظت في فصل الصيف وجود طوابير طويلة عند بائع المثلجات في حيّنا، فالرجال هم الذين يقفون في الطوابير، يجنون عناء وضريبة كبريائهم وهيمنتهم الذكورية، أما النساء فيجلسن في السيارات يتبادلن الحديث، أو يتصفحن مواقع التواصل الاجتماعي في هواتفهن الذكيّة مقارنة بهواتف الرجال الذين يقفون في الطوابير، تلك الهواتف البدائية الحقيرة، صغيرة الحجم ... إنها

المرأة وذكائها في استغلال الوضع لصالحها، ويمكن أن يصل الرجل المثلجات لزوجته بعد عناء طويل، لتقول له في الأخير لا أريد هذا الذوق، اذهب وأحضر نكهة أخرى !!!!

هكذا هي أغلب العلاقات الأسريّة بين الزوج والزوجة، علاقات غير واضحة، بل علاقات مَرَضيّة لا تتوافق والحياة السليمة التي تُبنى على أسس واضحة المعالم، وعلى مشاعر حقيقيّة تسير في أطرها الطبيعيّة والحقيقية من حبّ ومودة بين الزوج والزوجة، بل يجب أن يتعدى الأمر بالتصريح بهذه المشاعر التي توزّع هنا وهناك إلا في أطرها الحقيقية فتبدو تافهة بل تقليل احترام، لذلك تكثر حالات الطلاق لأسباب تافهة ظاهرة، وأسباب حقيقية خفيّة كنّا قد ذكرنا بعضها.

ب- علاقة الأخ بأخته: التنشئة الاجتماعية في الأسرة الجزائرية في الغالب تُحضّر الذكر لأخذ مكانة ريادية مقارنة بالأنثى "ومن شأن هذه التنشئة أن تطبع الأسرة والمجتمع بسمات النّظام الأبوي، وترسخ للسيطرة الذكورية، حتى تبدو للجميع أن هذا التقسيمات الاعتباطية لبنية الفضاء والّدور طبيعية وبديهية، والنّظام الاجتماعي برمته يشتغل بصورة آلية ورمزية للمصادقة على الهيمنة الذكورية" (بورديو بيار،2009، ص27)، فينخرط الجميع بما فيهم المرأة في التحضير لمكانة الذكر داخل الأسرة وتكريس الهيمنة الذكورية منذ الصغر "بحيث يحمل الذكر اسم أسرته ويلزم عليه السعي لحماية نظامها الاجتماعي وصون سمعتها وشرفها منذ نعومة أظفاره، ويتمتع الذكر الأكبر سنًا بالمركز السيادي في حالات غياب الجد أو الأب، فيخضع بذلك له الجميع ويمتثل لأوامره ورغباته"(Toualbia Radhia, 1984, P49) ، لذلك ينشأ الذكر في الأسرة الجزائريّة صعب المراس داخل النسق الأسري الذي أعطى له صلاحيات واسعة داخل نطاق الأسرة فهو دائما "الرجل" حتى وإن كان صغيرا لكن هذه التسمية تلازمه وتمارس عليه ضغطا رهيبا يتقمّصه يوما بعد يوما حتى يصبح رجلا وهو مازال طفل، هذا الطفل الذي يمر بمحطات كثيرة في رحلة التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة والتي تميّزه عن الأنثى "مثل حلق شعر الرأس ... وفي كل الاحتفالات التي تسجّل عبور عتبة العالم الذكوري والتي تلقى تتويجا بالختان" (بيار بورديو، 2009، ص57) ثمّ ما يسمى "الانفصال بالناير" حين يدخل الطفل لأوّل مرة للسوق (في منطقة لقبايل) ويبدأ بالتخلّص من التأنيث Déféminisation وعلى مدخل السوق يكسر الطفل البيضة ويفتح القفل وهي أفعال رجولية لفض البكارة وينظر إلى نفسه في المرآة"(بيار بورديو، 2009، ص57).

"ارتكازًا على مبدأ النقاء الأخلاقي والجسدي للأنثى تتشكل حواجز سميكة بين الجنسّين، فيتم الفصل بينهما حتى أثناء تناول الوجبات الغذائية، ويتحفظ الأخ في علاقته بأخته" (Boutefnouchet Mustapha, 1983, p273) ويبدأ في التعالي عليها ويعتبرها غرضا من أغراضه أو جزءا من حياته وُجد لخدمته، فتجده يدخل للبيت وهو قد كان يمضي بعض الأوقات مع أصدقاءه في النكت والضحك والحكايات الغرامية، فيدخل تاركا وراءه كل ذلك الهزل والمرح، ويبدأ رحلة نفش الريش أمام أخواته اللواتي ينتظرنه بالبسمة، فهذه قد غسلت له ثيابه، والأخرى تسأله هل تُحضّر له العشاء أم لا ، والأخرى تنظّف له غرفته، وهو لا يُبالي فتجده يتكلم من علياء وتكبّر، ولا يُعجبه شيئا، وتلك الأنثى التي تتودّد بعض العواطف منه أو حتى بعض

الاحترام، لكنّه لا يُبالي، فهو ينفّذ حرفيا ما قيل له في الصغر أثناء التنشئة الاجتماعية على أنّ الرجال أقوياء ولا يبكون ولا يتعاطفون وقلوبهم كالحجر و....

"الأخ الذي يمتلك الكثير من مبررات احترامه في الحياة الخاصة ويفرض مكانه ذكرا مزمجرا وقبضة قاسية" (بيار بورديو، 2009، ص17) إنّه الذّكَرُ الأخ، الذي يتحكم في كل أخواته الإناث حتى وإنْ كنّا يكبرنه سنّا، فتجد ذلك الطفل ذو السبع سنوات الذي يُراقب الإناث في غياب الذكور داخل البيت، فحين تتكلم الفتاة في الهاتف فإنه يجد الحق مسرعا في سؤلها مع من تتكلمين ؟ بينما تجيبه هي بكل احترام لقدره أنا أتكلم مع فلانة وربما تعطيه الهاتف ليتأكّد من ذلك، بينما يحمل الذكر ذو الأربعة عشر سنة، يحمل الهاتف ليتكلم مع عشيقته دون أن يسأله أحد مع من يتكلم، بل وهو يرفع صوته مفتخرا بأنه يتكلم مع صديقته.

لطالما ارتبط الشرف داخل الأسرة الجزائرية بالأنثى دون الذكر، "فالمرأة شُكلت كيانا سلبيا، وعرفت فقط بالشائبة وفضائلها لا يمكن أن تأكد إلا في نفي مزدوج كرذيلة منكرة أو مُذلّلة، أو كضرر قليل" (بيار بورديو، 2009، 51)، فالأنثى من تلوّث سمعة العائلة، بدخولها حتى قسم الشرطة لأجل استخراج وثيقة ضياع لغرض من أغراضها، لكن الذكر يمكن أن يفعل الأفاعيل ويدخل السجن لكن يبقى رجل "الحبس للرجّالة"، فالسجن للرجال الأشداء والأقوياء، والسجن لا يُنقص من قيمة الرجل بل يزيده قوة على قوته التي وهبتها له الأسرة.

ج-علاقة الأم والبنت: في الأسرة الجزائرية يُعتبر الأبناء ملكية خاصة، فهم ليسوا أبناء بيولوجيين فقط بل هم ملك لذويهم –حسب اعتقادهم- وليسوا أبنائهم فقط، لذلك يسعى الآباء لإسقاط كبتهم وانشغالاتهم على أبنائهم في محاولة منهم لخلق صور طبق الأصل لهم في نسخ أطفال، يشبّعونها بالقيم التي يحتاجونها هم وليس أبنائهم، وبالتالي يُصبح الطفل مفرغة للأمراض النفسية الوالدية وتطلّعاتهم واهتماماتهم، فالذي لم يستطع فعل شيء في حياته يصدره لابنه لإكمال المشروع وهكذا، مع تقسيم العمل للذكور والإناث حسب التقليد والعرف الاجتماعي، فيبدأ الاستثمار في الجسد مبكّرا "ويُستنجد بنوع من أسطورة الأصل* لشرعنة الأوضاع المنوطة بالجنسين، في تقسيم العمل الجنسي، وبواسطة التقسيم الجنسي لعمل الإنتاج وإعادة الإنتاج، في كل النظام الاجتماعي وما وراء ذلك في النظام الكوني" (بيار بورديو، 2009، ص39).

وعلاقة الأم بالبنت تبدو أيضا في هذا الاتجاه، بالاستثمار في جسدها منذ الصغر في تنظيف البيت وغسل الأواني وعدم الخروج كثيرا، وتحذيرها من الذكر، والتمييز بينهما، "والذي يتحقق جزء منه من خلال تأثيرات الإيحاء الإيماني، وفي جزء آخر من خلال الإيعازات الصريحة، وفي جزء أخير من خلال كل البناء الرمزي لرؤية الجسد البيولوجي" (بيار بورديو، 2009،

* هي مجموع الأساطير التي تتوارثها الأجيال وتحكيها لبعضها البعض دون أن يُعرف مصدرها، وهي تحكي أصل الرجل والمرأة "عند العين لاقى الرجل الأول المرأة الأولى، كانت المرأة تغترف الماء عندما اقترب منها الرجل المتعجرف وطلب الماء ليشرب، لكنها أول الواصلين وكانت عطشه هي أيضا، غضب منها فدفعها قامت بخطوة ناقصة فوقعت المرأة على الأرض، عندها رأى الرجل فخذي المرأة التي كانت مختلفة عن فخذيه، بقي الرجل قابعا في ذهوله، المرأة أكثر حيلة، علمته أشياء كثيرة "قالت له استلقي على الأرض فداعبت عضوه الذكري الذي أصبح أكبر مرتين واستلقت عليه، أحس الرجل بلذة كبيرة، تيع المرأة في كل مكان بعيد ليعيد عمل الشيء ذاته، لأنها كانت تعلم أشياء أكثر منه ، إشعال النار ... الخ

ص89)، فهي تتعرّض لعميلة صقل و"تطهير" لشخصيتها بما يتوافق والمجتمع الذكوري، فيمارس عليها كل أنواع العنف الرمزي واللفظي الصريح لإرشادها إلى مكانها المخصص لها مسبقا.

تربي الأم ابنتها على الفصل بينها وبين الذكور في سن مبكرة، موحية لها بأنّ الذكر يمثل خطرا محدقا بها دون تبريرات، فهي على شكل ايعازات تمارسها الأم وتقبلها البنت دون نقاش، وفي الكثير من الأحيان تريد الأم أن تكون ابنتها قوية الشخصية تستطيع الدفاع عن نفسها في أحلك الظروف، لكن يسقط كل هذا الحلم في أول اختبار حين تدافع البنت عن نفسها لأوّل مرة، لتعتبر الأم ذلك قلة احترام لها أو قلة تربية !!!!

إن الأم الجزائرية مسكينة، خضعت لعنف رمزي خلال التنشئة الاجتماعية، حاول أن تتخلّص منه في تربية ابنتها بعيدا عن ذلك، لكنها تجد نفسها في صراع بين القيم التي تبحث عنها والمستجدة في حياتها، وبين الماضي والمجتمع الذي يؤرقها ويدفعها قدما نحو تربية تقليدية تحمي بها نفسها وأبنتها، فتعيش في حالة من التناقض في أنها تريد فتاة قوية حرّة من جهة، بالمقابل تريدها خاضعة خانعة للهيمنة الذكورية وللمجتمع والدين.

د-علاقة الأب وابنته: "إنّ نتيجة الهيمنة الذكورية التي تشكل من النساء موضوعات رمزية، الكائن منها كائن – مدرك، هي وضعهن في حالة دائمة من عدم الأمان الجسدي، أو بالأحرى في حال من التبعية الرمزية" (بيار بورديو، 2009، ص103) فجسد البنت يبقى هاجسا قويا يتمظهر أمام الوالد دائما، فرغم التنشئة الاجتماعية والدروس اليومية حول الحشمة واللباس والعفاف وغيرها، يبقى الاحتراس على جسد البنت داخل الأسرة مهمة الجميع وليس مهمتها هي فقط، وخاصة الذكور من الإخوة والأب، فالأب دائم التوجيه للزوجة لإعطاء النصائح للبنت، ودائم الكلام للأبناء حول حراسة البنت واحتكار العنف الرمزي.

كانت الفتاة في السابق ومازالت في بعض الأرياف حين تبلغ فيجمع عليها نساء الأسرة الممتدة وبعض الضيوف من العجائز لأجل "وشمها"، هذا الوشم الذي يختلف من منطقة لأخرى في رمزية لقدرة هذا الجسد على تحمل الوشم والألم، وتحمل العملية الجنسيّة أيضا، فالفتاة الواشمة هي فتاة ناضجة جنسيا يمكن تزويجها، لتجد المراقبة في الأعراس والمناسبات من طرف الأمهات اللواتي يترصّدن زوجات لأبنائهن بمقاييسهن.

أما الآن، فحين تكبر الفتاة ويظهر عليها النضوج الجنسي، تبدأ سلسة من الإجراءات الاحترازية مثل تحجيبها وعدم تركها تذهب لوحدها للدراسة على الأقل في الأيام الأولى، وإعطائها دروس في الدّين ونصحها بالتمسك بالقيم الدينية الفاضلة، ومراقبة هاتفها، وإن تطلّب الأمر تزوجها في أقرب فرصة للتخلّص من عبئها.

قد تنجح الفتاة في البكالوريا وتذهب للجامعة، وتبدأ رحلة معاناة الأب في رعاية ابنته، ومنهم من يحاول تقييدها وسلبها كل ما يمكن أن يخرجها عن الطريق الذي رسمه لها، فيتركها دون هاتف نقال وهو يعلم أنها ستشتري هاتفا ولن يعلم مكانه، وربما يُعطيها هاتفا ذكيا لتستعمله لكنه يراقبها يوميا، فتترك له ذلك الهاتف وتشتري غيره ولن يراه ... وهكذا تبدأ رحلة حوارات رمزية بينها وبينه، في إعادة محاكاة العقد الاجتماعي الضمني الذي وقّعه الأبناء والآباء سابقا.

كان الآباء في السّابق يسيطرون على زمام الأسرة، ماديا وروحيا واجتماعيا، وهم من يقسّمون العمل داخل الأسرة الممتدة بين الرجال والنساء، ويتحكمون في كل شيء، وكانت لهم السلطة على الأبناء والأحفاد، فكان الذكور في بعض الأحيان يحيدون على الموجّه الأخلاقي الذي رسمه الآباء، فتجد أحدهم يدخّن السجائر، وغيره يتناول الخمر، وغيره يتعاطى المخدرات، كل هذه الأفعال لن تصبح مذمومة إلا إذا فعلها أمام الأب، فالآباء يعلمون بأن أبنائهم يُدخنون مثلا، لكن الأهم هو أن لا يدخنون أمام أعينهم، وهكذا فكل تصرفات الأبناء تبقى مباحة ما لم يشاهدها الآباء... فهذا العقد الضمني بقي ساري المفعول متوارثا من جيل لآخر، حتى تمّ استغلاله من طرف الأنثى، أن تفعل ما تشاء دون أن يراها والدها فهذا مباح حتى من والدها، وأنّ مجرّد خطأ بسيط أمام الوالد يكلفها غاليا.

يمكن أن يتصل الزميل في الدراسة بالبنت عن طريق الهاتف ويسمع الأب بذلك فتقوم الدنيا ولا تقعد لأن البنت اخترقت قاعدة هامة، وهدمت الأخلاق والحياء والحشمة لأنّ والدها رآها وهي تتكلم عن الدراسة، لكن لو يواعدها زميلاها في لقاء جنسي ولا يراها والدها فهذا يبدو مباحا ولم تخترق الفتاة أي قاعدة لأن الوالد لم يرى ولم يسمع شيئا نظرا للعقد الضمني الذي بقي ساري المفعول.

صراحة أصبحت الحياة الأسرية الجزائرية تعيش انفصامات خطيرة، نظرا لتراكمات الحياة الحديثة عليها من جهة، محاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الحياة التقليدية والدّينية التي غذّت شخصية الرجل الجزائري الموهوم بالهيمنة الذكورية، فأصبح يتغاضى عن الكثير من الأمور التي تزعجه بل يدّعي أنّه لا يراها، فالحداثة جلبت معها كما هائلا من القيم المختلفة تماما مع قيم الأسرة الجزائرية في جانبها الرمزي، وتعدّت جانب الهيمنة الذكورية وأعطت متنفسا حقيقيا للمرأة بأن تشعر بوجودها، فلا يمكن بعد الآن مراقبتها أو الاحتراس منها والحرس على جسدها، فالحداثة وفّرت لها كل ما كان يخاف منه الرجل من انترنت وأصدقاء وصديقات، بل وفتحت لها العالم على مصرعيه لترى ما تريد هي رؤيته، فأعلن الرجل استقلالية المرأة حينما لا يراها، وحين تكون أمام ناظريه فهو يحاول عبثا الدفاع عن ذكوريته وذكرياته معها.

ه-علاقة الزوجة بالحماة: إن علاقة الزوجة بالحماة في الأسرة الجزائرية علاقة صراع لرؤوس أموال ثقافية توارثتها الأجيال عن بعضها البعض وتشرّبتها الفتاة داخل الأسرة من خلال العنف الرمزي الممارس عليها عن طريق التنشئة الاجتماعية، ومجموعة الأمثال الشعبية حول الزوجة والحماة، "الحما حما ولو كانت ملكة من السما"، "لو كان تتفاهم العجوز والكنه إبليس يدخل للجنة"، " الكي بالنار ولا قعدة الحما بالدار" ... والكثير من الأمثال الشعبية التي تصوّر الصراع بين الكنه والحماة، رأس المال الثقافي هذا الذي تمتلكه الفتاة من جهة في مواجهة أم زوجها التي تعلم أنّها تترصّدها من مكان إلى آخر فهي العدو المفترض الحرص منه، وتمتلكه ايضا أم الزوجة التي تسعى للحفاظ على ابنها من هذه "الغريبة" التي تسعى لامتلاك ابنها وفصله عنها، فتكون اللقاءات الأولى لقاءات وُديّة فوق اللازم لمحاولة إظهار الود والمحبة للطرف الآخر، وإشعاره أن الأمر في حالتهما مختلف تماما عن سابقيه، فتبدأ جملة من المجاملات بينهما، فهذه تعتبر الأخرى ابنة حقيقية وتشكرها أمام الكل، والأخرى أيضا تعتبر أم زوجها أُماً حقيقية لن تفرّط فيها، لكن

تبعات ذلك العنف الرمزي وإفرازاته لن تزول بسهولة فهي راكنة في اللاوعي تنتظر الفرصة المواتية لا غير، لذلك تكون المواجهة الأولى قاسية جدا لدفع كل الهابتوسات جملة واحدة في صراع يأتي على الأخضر واليابس ويُنهي اتفاق إطلاق النار المؤقت بين الزوجة وأم زوجها، ويبقى هذا الصراع قائما مدى الحياة حتى وإن كانت هناك هدنة، لكنها تبقى مؤقتة تنتظر الفرصة المواتية لا غير.

6-الأمثال الشعبية حول المرأة في المجتمع الجزائري: لطالما حضرت الأمثال الشعبية في أغلب الحوارات الجماعية أو الثنائية، وخاصة فيما يتعلّق بالمرأة، فلا يقدّم الوالد النصيحة مثلا لابنه إلا من خلال المثل الشعبي الذي يملك قداسة لا يمكن نقدها أو تغليطها، فالمرأة في الموروث الشعبي لا تُؤتمن ولو رأيتها تقوم بكل واجباتها الدينية "لا تامن في سمش الشتا لو صحات، ولا تامن في لمرا لو كان صلّاتْ"، فمثلما لا تُؤتمن شمس الشتاء ودفئها ، كذلك لا تُؤتمن المرأة ولو كانت متديّنة.

وتعنيف المرأة لفظا وقولا في الأمثال الشعبية جائز وتشبيهها بالزربية، "لمرا كي السجّادة ما تنظاف غير بالخبيط"، فالسجاد والزربية يتم ضربها بالعصا حتى يخرج منها الغبار والأتربة شأنها شأن المرأة التي تحتاج للضرب بالعصا حتى تطيع زوجها وتنظّف عقلها من القيل والقال والأفكار الحداثية.

أما عن خروج الزوجة من البيت فهو أمر غير محبّب لدى الرجل المتمسّك بالموروث الشعبي، "لمرا لي طّوف عمرها ما تغزل صوف" فالمرأة كثيرة الخروج والتي تطوف الشوارع لا يمكنها "غزل الصوف" هذا العمل الذي تُعرف به المرأة في المجتمع التقليدي، هذا العمل المضني الذي يتطلب جهدا كبيرا، فالمرأة التي تخرج لا يمكنها أن تؤدي واجباتها المنزلية.

وتُربط المرأة بالحيوانات في الأمثال الشعبية الجزائرية كالكلاب والدّجاج، "لي عينو لعذاب يخالط النسا ولكلاب" فمن أراد أن يتعذّب عليه مخالطة النساء والكلاب، فربط المرأة بالكلاب على أنها تُثرثر كثيرا وأنّ سبيلها سبيل تربية الكلاب، "لي يبغي لهراج يكثّر النسا والدجاج" فالمرأة في هرجها ومرها في الأمثال الشعبية مثل الدجاجة التي تصدر ضجيجا ومكلفة في معيشتها، ولطالما كانت هذه الأمثال الشعبية مفخرة للكثيرة وحتى الشباب رغم انسجامه مع قيم الحداثة لكنه مازال متشبثا بكل قديم وشعبي وبما يُرضي ذكوريته وتعاليه.

7-الدين كذريعة للهيمنة الذكورية: رغم التطور الحاصل في الحياة الاجتماعية خاصة من جهة وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي ووصول المرأة إلى مراكز رائدة في كل المجالات فهي الوزيرة والقاضية والطبيبة والمعلمة لكن مازالت تعاني من الهمينة الذكورية "لذلك لا يمكن اعتبار الجزائريات مواطنات لأن مشاركتهن في حياة البلاد لا تزال محرمة عمليًا" (فان فيلد هيلين، 1983، ص7-8) فالكثيرات يبحثن لإيجاد فرص تحرر حقيقية من قبضة الرجل الذي يبحث عن توفير كمٍ هائل من الذرائع لأجل بقاءه في مرتبته، وأخريات يدافعن عن بقائهن في هته المواقع الخلفية ولا يردن لا تحرر ولا مكانة.

ويتشبّث الرجل بالدفاع عن ذاته ووجوده من خلال مجموعة نصوص دينية يختارها عن قصد لأنها تُرضي ذاته فتجده يدافع عن الحجاب أكثر من دفاع المرأة عنه وكأنه مسألته الشخصية

وليست مسألة المرأة، فالمرأة تلبس الحجاب للرجل الذكوري لإرضائه أكثر من أي شيء آخر، وتجده يستند في كل لحظة سواءا نص قرآني أو حديث حتى يُقنع به زوجته أو ابنته التي ربما ترفض منطق الذكورة، فيقول لها هل تعترضين على كلام الله ؟؟؟ فتجد نفسها ليست في مواجهة رجل فقط، بل في مواجهة دين بأكمله، فيُحول الرجل المعركة الوجودية بينه وبين المرأة إلى معركة بين المرأة والدّين ويبقى مكانه متفرّجا في امرأة جاءت على عاتقها كل المواريث الشعبية والدينية تدفعها إلى أن تقبع في المؤخرة دائما.

إن القراءات الحديثة للنصوص القرآنية يمكن أن تصدم الرجل الذكوري ولا يقبلها لأنها لا تشبع رأس ماله الثقافي فيرفض كل ما هو حداثي في الدّين، لذلك تجده متطرفا في فهم النصوص باحثا عن كل التفاسير التي ترضيه هو ولا ترضي المرأة، لذلك في اعتقادي أن الدين يستخدمه الأغلبية في إشباع تطرفهم.

8-نتائج الدراسة: من خلال القراءة في تفاصيل العلاقات الأسريّة داخل الأسرة الجزائريّة في متغيّري الهيمنة الذّكوريّة والتديّن يمكن تلخيص ما يلي:

- الهيمنة الذّكورية داخل الأسرة الجزائريّة لها جذور في التّاريخ.
- الهيمنة الذّكوريّة تستخدم التديّن كذريعة لتبرير غير المُبرّر.
- التديّن الشكلي جاء نتاج التثاقف والتقاء ثقافة المدينة بثقافة الرّيف.
- العلاقات الأسريّة دخل أغلب الأسر الجزائريّة غير سليمة وبحاجة لقراءات عميقة لدراسة المتغيرات التي تتحكّم فيها وتسيّرها.
- غياب القانون سمح بطغيان العلاقات الاجتماعيّة التي يرسمها التديّن في شكل أخلاق تُنظّم العلاقات الاجتماعيّة بين النّاس وبين التجّار أيضا.
- إفرازات العشريّة السوداء مازال لها الأثر البالغ على المُكونات الاجتماعيّة داخل الأسرة الجزائريّة.
- النزوح الريفي الذي فرضه الإرهاب في العشريّة السوداء أحدث اختلالات اجتماعيّة وأسريّة رهيبة

9-خاتمة: من خلال ما تقدّم ذكره حول العلاقات الأسريّة داخل الأسرة الجزائريّة وشبكة التعاملات بين كل الفاعلين داخل الأسرة، وجدنا أنّ الهيمنة الذّكورية هي الغالبة خاصة في علاقة الذّكر بالأنثى التي تُعتبر بحق ضحيّة تنشئة اجتماعيّة قاهرة أجلست الذّكر دون وجه حق - أو اعتمادا على التديّن- في مرتبة عُليا على الأنثى التي كانت هي أيضا ضحيّة عُنف رمزي خضعت له من خلال التنشئة الاجتماعيّة وقبلته بل وأصبحت تُدافع عنه وعن تلك المرتبة الثانية بعد الذّكر، كما تمّ استغلال الدّين في إضفاء الشرعية على ذلك التقسيم الجنسي وتقسيم الأدوار داخل الأسرة الجزائرية، بل والاستثمار في الجسد على حد رأي بيار بورديو.

إنّ التديّن في شكله المتزايد اجتماعيا ما هو إلا نتاج لضعف الروابط الاجتماعيّة التي من المُفترض أن يتحكّم فيها القانون لا العلاقات الأخلاقيّة التي يرسمها التديّن والقراءات المُختلفة فيه، وهي شبكة علاقات ساهمت في بناءها الكثير من المُتغيرات منها الاستعمار الذي شوّه البُنى الاجتماعيّة ثمّ جاءت الأزمات السياسيّة والاجتماعيّة –العشرية السوداء- التي دفعت بالكثيرين

إلى مغادرة الأرياف والدخول للمدينة مع حالة الأنوميا والتثاقف أفرز حالة من عدم الاستقرار داخل الأسر الجزائرية والذي انعكس سلبا على البُنى الاجتماعيّة بصفة عامة.

ومن خلال تسليط الضوء في هذه الدراسة على شبكة العلاقات الاجتماعيّة داخل الأسرة الجزائرية نفتح نافذة حول قراءات أكثر تدقيقا في تلك الروابط والتي من شأنها أن تدفع لتحسين الوضع الأسري ومنه إلى إصلاح البُنى الاجتماعيّة والكفيل بإنقاذ المجتمع من حالات الاختلال الواضح.

قائمة المراجع:

1. بورديو بيار(2009)، الهيمنة الذكورية، قعفراني سلمان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
2. شكري علياء(2010)، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعارف، القاهرة.
3. عدّي الهواري(1983)، الاستعمار الفرنسي في الجزائر وسياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي: 1830-1960، تر: عبد الله جوزيف، دار الحداثة، بيروت.
4. علي، عليوة(2017)، الأسرة الجزائرية بين التريّف والتمدّن، دار المحور للنشر، بيروت، لبنان.
5. فان فيلد هيلين(1983)، هل يجب مطاردة الأساطير؟ في: المرأة الجزائرية، تر: سليم قسطون، دار الحداثة، مصر.
6. قرامي أمال(2007)، الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية: دراسة جندرية، دار المدار الإسلامي، بيروت.
7. مظهر سليمان(2010)، نظرية المواجهة النفسية الاجتماعية: مصدر المواجهة، دار ثُلة، الجزائر.
8. Boutefnouchet Mustapha(1983), La Famille Algérienne, Evolution et caractéristique récent, 2éme Ed, société nationale d'édition et de diffusion, Alger.
9. Fanon Franz(1972), Sociologie d'une révolution, Maspero, Paris.
10. Lahouari Addi (2004). Les enjeux théoriques de l'anthropologie du Maghreb. Lecture de Bourdieu, Geertz, Gellner et Berque.. Lahouari, Addi. L'anthropologie du Maghreb. Lecture de Bourdieu, Geertz, Gellner et Berque, Awal Ibis Press, Paris, pp.7-15.
11. Madher Slimane (1990**),** Tradition contre développement, édition ENAP, Alger.
12. Toualbi Radia (1984), Les attitudes et les représentations du mariage chez la jeune fille fille Algérienne, édition ENAL, Alger.
13. Zerdoumi Nafissa (1970), Enfant d'hier: L'éducation de l'enfant en milieu traditionnel Algérien, Maspero, Paris.